المحاضرة الثالثة_ الله والتاريخ: (تحليل الرؤية التي تجعل من التاريخ مجرد أحداث صنعها الله – سان أوغستين)

التفسيرات اللاهوتية و تاثيرها في التاريخ

التفسير المسيحي للتاريخ بدأ يأخذ اتجاهات عدة منذ بداية الفرن الخامس الميلادي، وتحديدا في عهد أغسطين (354-430م) الذي قدم أول نظرية في فلسفة التاريخ تستند إلى أسس لاهوتية مسيحية، فظهرت منذ ذلك الحين تفسيرات للتاريخ وتصورات مختلفة لكيفية مسيرته تستند إلى العقائد المسيحية في المقام الأول.

كان أوغسطين رجل دين أقلقه ما حدث من إستلاء القوط وهم من القبائل الجرمانية المتبربرة على روما عام 410م، وزاد حزنه أن يذكر اليائسون من الرومان أن هذا الإستلاء كان نتيجة تخلي الرومان عن ديانتهم القديمة التي علا شانها في ظلها ثم اعتناقهم الدين الجديد. و يعتبر أوغسطين أهم المفكرين في تاريخ المسيحية على الاطلاق،

جاءت أفكار القديس أوغسطين في أهم كتابين هما: "مدينة الله" و"الإعترافات" حيث دافع فيهما عن المسيحية وذهب إلى أن (الشر قد دخل العالم بمعصية آدم، وكما أن في الإنسان نزعتين: نزعة حب الذات إلى حد الاستهانة بالله، ونزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات، كذلك في المجتمع مدنيتين: المدنية الأرضية أو مدنية الشيطان، والمدنية السماوية أو مدنية الله، تعمل الأولى على نشر الظلم ونصرته، وتجاهد الثانية في سبيل العدالة، ولقد كانت مدنية الله مختلطة بمدنية الشيطان حتى ظهور نبي الله إبراهيم، ثم تميزت المدنية السماوية فأصبحت في بني إسرائيل، والمدنية الأرضية في سائر الحضارات)

ومهّدت هاتين المدنيتين لظهور السيد المسيح، فمهّدت له المدنية السماوية - بني إسرائيل - له روحياً وبقية الحضارات المتمثلة بالمدنية الأرضية له سياسياً، ومن ثم يجب أن تتحد هاتين المدنيتين روحياً وسياسياً، فالجانب الروحي متمثلاً بـ(الكنيسة) والجانب السياسي متمثلاً بـ(الدولة)، وبالتالي يجب أن تخضع الدولة لمدنية الخير (الكنيسة) من أجل تحقيق سعادة الدنيا والآخرة و(تشرف الكنيسة على الدولة حتى توجهها إلى الحياة الآخرة وتمكّن الدولة الكنيسة من تحقيق أغراضها)

وعليه نظر أغسطين إلى التاريخ على أنه مقسم إلى ستة أدوار، من آدم أي من الخطيئة حتى الطوفان، ومن الطوفان حتى إبراهيم ومن إبراهيم حتى داوود ومنه حتى السبي البابلي، ومن هذا الأخير حتى ولادة المسيح إلى يوم القيامة.

وتنطبق هذه الأدوار على عمر الإنسان من الرضاعة إلى الشيخوخة. ويمثل الدور الأخير عهد المسيحية أي عهد الانتقال من مدينة العالم إلى مدينة الاله، ولتكن العناية الالهية وراء ذلك التعاقب للأدوار.

العنايه الالهيه عند القديس سان اوغسطين

مع أن الناس يصنعون تاريخهم إلا أن العناية الالهية هي محرك تعاقب الأدوار، ليبدو التاريخ صراعا بين الضلمة والنور أو الخير والشر، والانتصار الحتمي للنور هو محدد معنى التاريخ. وهنا يرفض أوغسطين النظرية الدورانية للتاريخ ويكرس لفكرة التقدم التاريخي.

ذلك ألن التعاقب الدوري للتاريخ يعني أن الحوادث تتكرر بينما في الالهوت المسيحي عند أوغسطين يجعل من صلب المسيح أهم و اقعة تاريخية منذ بدأ الخليقة، وأكد على فردية الوقائع التاريخية وتميزها وعليه استحالة تكرارها.

بينما العناية االلهية هي التفسير الوحيد الذي يكشف عن حكمة إلهية خفية في الوقائع، فطوفان نوح مثال ال يفسر إال بالخطيئة أألصلية بينما الخالص وانتصار المسيحية حسب أوغسطين هو أكمل مظاهر العناية االلهية بمقتضى الفكر أألوغسطيني دخل الشر إلى العالم بسبب معصية آدم، فكانت لالنسان بالطبيعة نزعتان: نزعة حب الذات والتي تسعى إلى نشر الظلم، ونزعة حب الله و المجاهدة في سبيل العدالة. لقد كانت مدينة الله مختلطة بمدينة الشيطان إلى أن ظهر النبي إبراهيم ثم أصبحت المدينة السماوية في بني إسرائيل وأألرضية في سائر الحضارات وخاصة الرومانية. ورغم انفصال المدينتين وتناقضهما إال تقدما معا إلى حد ظهور المسيح الذي مهد له بني إسرائيل روحيا والحضارات القديمة سياسيا وذلك وفقا للعناية االلهية فاتحد الجانب الروحي مع السياسي، أي الدولة مع الكنيسة وعلى أألولى أن تخضع للثانية من أجل تحقيق سعادة الدنيا وآالخرة وليس على شؤون الدولة أن تحكم بالقوة وإنما بالفضيلة لمنع الشرور، ذلك لان الشر يزيد المعتدي تحمسا للعدوان إال أن ذلك ال يمنع من ضرورة الحزم في أألمور